ولد هيرتزل في مدينة مجرية تابعة لامبراطورية يغلب عليها الطابع الجرماني ، فأطلق عليه ابوه يعقوب اسما المانيا شائعا هو : تيودور (وهي كلمة مشتقة في الاصل من الاغريقية وتعني : هبة الله) فنشأ في كنف عائلة ميسورة الحال ، ثقافتها المانية بحتة ، وممارستها لشعائر عقيدتها اليهودية ليست شديدة التعصب . لذا لم يكن مستغربا ان يحصل على درجات سيئة في درس الدين ، فان اهتمامه كله كان منصبا الى دراسة الادب والحضارة الالمانية . وكان عظيم الاعجاب ببسمارك ، وبالدولة البروسية . وكذلك تأثر كثيرا بالمشاريع الهندسية الكبرى التي كان المهندس الفرنسي ده ليسبس يقوم بها ، فاصبح طموحه الاول ان يصبح مهندسا . ولانه الابن الوحيد (كانت له اخت تدعى باولينه ، تكبره بسنة) فقد نشأ مدللا ، ومنذ البداية رأت فيه امه « سيماء العبقرية » ، وباركت فيه طموحه الزائد . وعندما انهى دراسته الثانوية ، التحق بالجامعة ليدرس القانون ، بعد ان اكتشف ان الهندسة ، حلم طفولته الاول ، لم تكن بالدراسة المتلائمة مع امكاناته الفكرية .

ونحن نلاحظ معالم انفصام الشخصية في هيرتزل منذ شبابه الباكر . فهو مثلا لا يصادق الا اليهود ، لكن شريطة ان يكون هؤلاء من غير المتدينين ، اي مثله . وهو يبذل جهده كي ينتمي الى احدى الجمعيات الطلابية التي تمارس المبارزة، مع انه يحس في قرارة نفسه بان هذه الجمعيات تضم اناسا ينظرون الى اليهود بترفع آري . انه مفتتن بالشخصية الجرمانية ، لكنه يشعر بانه لا يستطيع الانتماء الى عالمها الخاص ، حتى وان مارس عاداتها وتقاليدها كالمبارزة . ان كبرياءه وشعوره بيهوديته تدفعانه الى خوض غمار مبارزة واحدة ، ولكنه لا يكرر هذه التجربة*. وهو اثر تخرجه يلتحق بسلك القضاء ، ولكنه بعد ذلك ينصرف الى العمل الصحفي في صحيفة يمتلكها يهود ، بحجة ان يهوديته لن تسمح له ابدا بان يرتقي سلم الوظيفة الى ان يصبح قاضيا .

وفي هذا الموقع من الكتاب ، يكشف ستيوارت عن سر اخفاه سائر المؤلفين الذين سبقوه في الكتابة عن هيرتزل . فهو ينشر رسالة كتبها هيرتزل الى احد اصدقائه وفيها ذكر لاصابته بمرض زهري .

لقد تزوج هيرتزل من فتاة جميلة غنية بعد علاقة حب ، الا ان الزواج كان فاشلا من البداية . ولما كانت المراسلات بين الزوجين قد اختفت دون أثر ، فالمعتقد ان مرض هيرتزل هو الذي حطم حياته الزوجية ، فقضى أيامه في تنقل مستمر بين مدينة ومدينة ، وبلاد وبلاد ، وكأنه مدفوع برغبة لا تقاوم في الابتعاد عن اسرته .

ويقول ستيوارت بأن « يهودية » زوجة هيرتزل كانت أمرا مشكوكا فيه . فهي لم تبد أي اهتمام بمشاريعه الصهيونية ، ولم تنشىء اولادها نشأة دينية ، ولم تهتم بختان ابنها هانس** ، فنشأ غير مختون. الا أنها سمحت لزوجها بأن يبدد دوطتها على طموحه السياسي ، وعندما مات ابوها وترك لها ثروة كبيرة ، وضع هيرتزل يده على هذه الثروة بحجة انه يخشى عليها من تبذير زوجته !

والى جانب غضه للاسرار التي حرص اتباع هيرتزل على كتمانها ، يقوم ستيوارت ايضا بنسف بعض الاساطير التي حاكها هيرتزل حول بعض دوافعه . فهو يقضي على الاسطورة القائلة بأن هيرتزل اصبح صهيونيا اثناء تغطيته لمحاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس في باريس . ففي ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ، وهو تأريخ هيرتزل لبداية صهيونيته ،

---

* ان جمعيات السلاح المنتشرة في جامعات المانيا والنمسا منذ أوائل القرن الماضي تعتبر المبارزة بالسيف بمثابة رياضة ، كالملاكمة ، تثبت الرجولة والشجاعة ، ولذا فان اعضاءها يمارسون المبارزة عدة مرات اثناء دراستهم الجامعية ويفخرون بالندوب التي تتركها في وجوههم . وهذا النوع من المبارزة ليس مرتبطا بالرغبة في الدفاع عن الشرف وغير ذلك ، فالتحدي ، والاستجابة له ، يبقيان على المستوى الرياضي ، ولذا فالمبارزة لا تترك الا جروحا بسيطة ، ولا تخلف اية مشاكل بين المتبارزين .

** هانس او جون (بالانكليزية) هو احد الاسماء القليلة التي لا يطلقها اليهود على ابنائهم وذلك لارتباطها بالمسيحية ، ولكن هيرتزل اختار هذا الاسم المسيحي لابنه ، وكذلك لم يختنه .